رحلة إلى الدار الآخرة

إعداد
سيد مبارك

المكتبة المحمودية

رحلة
إلى الدار الآخرة

تأليف
سيد مبارك (أبو بلال)

الناشر
المكتبة المحمودية
ميدان الأزهر - ت : ٥١٠٣٠٦٧

مقدمة المؤلف

إن الحمد لله رب العالمين . . نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله وعلى آله وصحبه أجمعين .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[آل عمران : ١٠٢] .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن

نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾

[النساء : ١] .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ [الأحزاب : ٧٠ ، ٧١] .

أما بعد .. أخي القارئ

بين يديك رسالة بسيطة الحجم ،

ولكنها إن شاء الله تعالى كبيرة النفع لما تحتويه من تحذير وترهيب شديدين عما ينتظر العبد فى رحلته الطويلة إلى الدار الآخرة التى هى مستقر كل كائن حى خلقه الله تعالى فى هذا الوجود .

وهى دار البقاء والمعاد والخلود ، وما الدنيا إلا دار الغرور . . دار فانية مسترجعة لا بقاء لها ولا بقاء فيها لأحد . والرحلة إلى الدار الآخرة تبدأ بالموت الذى لا مفر منه فهو حق ، وتنتهى إما للجنة دار المتقين ، وما فيها من نعيم مقيم أو

للنار دار المجرمين وما فيها من عذاب أليم والعياذ بالله تعالى .

فكن **أخي القارئ** .. على أهبة الاستعداد للرحيل لسفرك هذا ، واخلص النية وأكثر من الزاد وتوكل على من أمره بين الكاف والنون إنه نعم المولى ونعم النصير والحمد لله رب العالمين .

وكتبه

سيد مبارك (أبو بلال)

* * *



شروط الرحلة لسلامة الوصول

إن الوصول إلى الجنة ودخولها هو غاية كل مؤمن آمن بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد نبيًا ورسولا . . .

ومن أجلها صلى المصلون وقام القائمون آناء الليل وأطراف النهار ، ومن أجلها صام الصائمون ، وقاتل المقاتلون ، واستشهد فى سبيلها الشهداء . . تكلم عنها العلماء وقالوا : إنها سلعة الله الغالية وإنها حفت بالمكاره الثقيلة على القلوب ولا يدخلها أحد إلا بمشقة وجهد

وهي ثواب الله تعالى لمن ابتغى وجهه ومرضاته فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

وحث على الفوز بها الصادق المعصوم ﷺ فطوبى لمن كانت له الجنة وكان من أهلها .

قال تعالى : ﴿ **سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ** ﴾ .

[الحديد : ٢١] .

أخي القارئ الوصول للجنة لا يتوفر لكل إنسان إلا بشروط أذكر هاهنا أهم ثلاثة شروط ، وما توفيقي إلا بالله تعالى.

١ - الزهد في الدنيا : قال تعالى : **﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾** [الحديد : ٢٠] .

* وقال النبى ﷺ فيما رواه عنه ابن عمر رضى الله عنهما : « كن فى الدنيا كأنك غريب أو كعابر سبيل » فكان ابن عمر يقول بعدها : « إذا أصبحت فلا تنتظر المساء وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك » (رواه البخارى ومسلم) .

قال الإمام النووى رحمه الله فى شرح الحديث ما نصه : (لا تركن إلى الدنيا ولا تتخذها وطنًا ولا تحدث نفسك بالبقاء فيها ولا تتعلق منها إلا كما يتعلق به

الغريب فى غير وطنه) اهـ .

نعم هكـذا يجب أن يكون المسـلم فى دنيـاه مـثل الغـريب فى وطـنه ، ولكن للأسف الشـديد كثـير من العـباد إلا من رحم ربى قد غرهم بالله الغـرور ، أحبوا الدنيا وفـتنوا بها فأخـذوا يتقاتلون عليـها يتنافسون للفوز بنعـيمها الزائل ، وغلبت عليهم أهوائهم ومصالحهم عن أمر الآخرة والحـساب فـضلوا وأضـلوا غـيـرهم ، انتشرت الجرائم بأنواعها وهتكت الأعراض وقطعت الأرحام وصار لسـان حال الجميع

إلا من رحم ربى يقول : أنا وأنا والطوفان من بعدى . . يا حسرة على العباد .

أخى القارئ . . حذار حذار من الدنيا وازهد فيها واجعلها مطية للآخرة قبل فوات الأوان .

يقول سيدنا عيسى عليه السلام : الدنيا ثلاثة أيام ، يوم مضى وليس بيديك فيه شئ ، ويوم يأتى لا تدرى أتدركه أم لا ، ويوم أنت فيه فاغتنمه .

* وقيل لإبراهيم بن أدهم لماذا زهدت فى الدنيا ؟ قال لثلاث :

- رأيت الطـريق طويلاً وليـس مـعى زاد.

- رأيت القـبـر موحـشًا وليس مـعى مؤنس .

- رأيت الجـبـار قـاضـيًا وليس مـعى حجة، ولا من يدافع عنى .

وما أجمل قول الشاعر :

النفس تبكى على الدنيا وقد علـ
ـمت أن السلامة فيها ترك ما فيها
لا دار للمرء بعد الموت يسكـنها
إلا التى كان قبل الموت يبنيـها

فإن بناها بخير طاب مسكنه

وإن بناها بشر خاب بانيها

٢ - كثرة الزاد لطول السفر :

اعلم أن الدنيا مزرعة الآخرة من زرع فيها زرعًا حصده ومن عمل عملاً وجده.

قال تعالى : ﴿ **وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ** ﴾ [البقرة : ٢١٥] .

فأكثر من الزاد لطول السفر ومشقات الطريق وزد من أعمالك الصالحة كترتيل كتاب الله والصلاة والصيام وعيادة المريض ومساعدة المحتاج وإعانة الضعيف ونصر

المظلوم والإحسان إلى الجار ونحو ذلك مما يزيد من حسناتك ورصيدك خلال الرحلة الطويلة .

روى عن أبى ذر أنه وقف يومًا أمام الكعبة ثم قال لأصحابه أليس إذا أراد أحدكم سفراً يستعد له بزاد؟ قالوا: بلى، قال : فسفر الآخرة أبعد مما تسافرون. قالوا: دلنا على زاده. قال: حجوا حجة لعظائم الأمور ، وصلوا ركعتين فى ظلمة الليل لوحشة القبور ، وصوموا يومًا شديد حره لطول يوم النشور .

٣ - الإخلاص فى الأعمال والأقوال :

قال تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ [البينة : ٥] .

وقال النبى ﷺ فيما رواه عنه أبو هريرة رضى الله عنه : « إن أول الناس يقضى عليه يوم القيامة رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمه فعرفها : قال : فما عملت فيها ، قال: قاتلت فيك حتى استشهدت. قال : كذبت ، ولكنك قاتلت ليقال فلان جرئ ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على

وجهه حتى ألقى فى النار . ورجل تعلم العلم وعلمه ، وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال: قال: فما عملت فيها ؟ قال : تعلمت العلم وعلمته ، وقد قرأت فيك القرآن . قال : كذبت ، ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم ، وقرأت القرآن ليقال هو قارئ ، فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار . ورجل وسع الله تعالى عليه وأعطاه من أصناف المال كله فأتى به فعرفه نعمه فعرفها . قال : فما عملت فيها ؟ قال : ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا

أنفقت فيها لك ، قال : كذبت ، ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار » .

وقال فى آخره : ثم ضرب رسول الله ﷺ على ركبتى فقال : « يا أبا هريرة أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة » (رواه مسلم والترمذى) .

والحق أن هذا الحديث أثار رعب وخوف الصالحين خوفًا من إحباط العمل لو دخله رياء وشابه عدم الإخلاص ،

ولهذا احترز من الرياء واخلص النية لله تعالى فى أعمالك وأقوالك ، ولقد سئل حكيم : من المخلص ؟

قال : المخلص الذى يكتم حسناته كما يكتم سيئاته .

هذا ولا ينافى الإخلاص إظهار الأعمال وقولك إنى صائم أو أصلى أو أفعل كذا أو كذا إن كان ليقتدى بك غيرك أو لترغيب الناس فى الخير والطاعة فليس ذلك من الرياء إن كانت نيتك لله والدعوة إلى دينه .

وبعد **أخى القارئ** .. لا تتقاعس عن استيفاء هذه الشروط وغيرها كحسن الظن بالله وبرحمته ، وسلامة القلب من الآفات ونحو ذلك لسلامة الوصول خلال مشوار الرحلة التى تتوقف فيها للسؤال والامتحان عند محطات رئيسية ترى فيها أهوال لا يعلم حقيقتها إلا الله تعالى وسوف أذكرها لك مع البيان والتوضيح بالأدلة من القرآن والسنة الصحيحة والله المستعان .



المحطة الأولى :

الموت

الموت هو المحطة الانتقالية لك من الدار الدنيا إلى الدار الآخرة أو من عالم الأحياء إلى عالم الأموات والموت حق وهو آت لا محالة ، قال تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ [آل عمران : ١٨٥] .

نعم .. الموت حق ولن ينجو منه أحد .. قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي

تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

[الجمعة : ٨] .

ولأن الموت هو الذى يفرق بين الأحبة .. بين الأخ وأخيه والزوج وزوجه والأب وابنه .. والحبيب وحبيبه .

وهو هاذم اللذات .. وهو نهاية الأحلام والآمال فأكثر **أخى القارئ** من ذكره حتى تكون دائمًا على استعداد للرحيل وإليك هذه الآثار الطيبة للسلف الصالح لتعينك على ذكر الموت .

- كان عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى إذا ذكر الموت ، انتفض انتفاض الطير ، وكان يجمع الفقهاء كل ليلة فيتذاكرون الموت والقيامة ثم يبكون حتى كأن بين أيديهم جنازة .

- وكان الربيع بن خثيم يقول : لو فارق الموت قلبى ساعة واحدة لفسد .

- وكان الحسن البصرى - رحمه الله- يقول : فضح الموت الدنيا فلم يترك لذى لب فيها فرحًا ، وما ألزم عبد قلبه ذكر الموت إلا صغرت الدنيا عليه ، وهان عليه

جميع ما فيها .

وإن أردت المزيد عن الموت وسكراته فاقرأ رسالتى الجيب (سكرات الموت) طبع المكتبة المحمودية ففيها الكفاية من البيان والتوضيح مما يغنى عن تكراره هاهنا والله المستعان .

المحطة الثانية :

القبر وظلماته

اعلم أن بمجرد أن يموت الإنسان وتخرج روحه إلى بارئها سبحانه فقد وجب على أهله أن يدفنوه فيحملونه

ويشيعونه إلى محطته الثانية .. إلى بيت الوحدة والظلمة .. إلى بيت الدود وحيداً لا أنيس ولا جليس لا زوجته ولا أبنائه ولا أهله ولا أحبابه ولا مخلوق على وجه الأرض يكون بجواره يعينه ويدافع عنه ما ينتظره من مصير بين جدران القبر الأربعة ولن ينفعه ماله وسلطانه وقوته فى الدنيا الذين ألهوه وشغلوه عن طاعة ربه . قال تعالى : ﴿ **أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ * كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ** ﴾[التكاثر : ١-٥] .

نعم .. لقد صار الإنسان وحيداً لا أنيس ولا جليس .. لا ينفعه مال ولا بنون ولا جاه ولا سلطان .. إنه فى عالم البرزخ لا يشعر بعذابه أو نعيمه الأحياء .. وليس للميت إلا الله تعالى هو وحده الذى يقرر مصيره هو وحده الذى يحاسبه عما جنته يداه .. العبد الذليل والرب الجليل ، العبد الضعيف والرب القوى ، العبد الفقير والرب الغنى ، لا ملجأ من الله إلا إليه ولا رحمة إلا رحمته ولا سلطان إلا سلطانه جل وعلا .. فكن مستعداً أخى المسلم .. أختى المسلمة

فالقبر أول منازل الآخـرة ، والقبر وعذابه حق .. والله تعالى يقول : ﴿ وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ * النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾[غافر : ٤٥ ، ٤٦] .

* **أخي القارئ** .. النجاة النجاة فكل ما هو آت آت وما بعد الموت من مستعتب وما بعد هذه الدار من دار إلا الجنة أو النار.

- ولقد كـان سيدنا عثـمان رضي الله عنه إذا وقف على قبـر بكى حتى يبل

لحيته، فقيل له : تذكر الجنة والنار ولا تبكى ، وتبكى من هذا ؟ قال : إن رسول الله ﷺ قال : « إن القبر أول منازل الآخرة فإن نجا منه أحد فما بعده أيسر منه وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه » (رواه ابن ماجه وإسناده حسن) .

وكان رضى الله عنه ينشد ويقول :

فإن تنج منها تنج من ذى عظيمة

وإلا فإنى لا إخالك ناجيًا

نعم وكفى بسؤال الملكين فتنة وعذاب، ففيما رواه البخارى عن أنس بن مالك

قال: قال رسول الله ﷺ : « إن العبد إذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه ، إنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له: ما كنت تقول فى هذا الرجل محمد ﷺ؟ فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبد الله ورسوله ، فيقال له : انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله تعالى به مقعداً من الجنة فيراهما جميعًا ، أما المنافق والكافر فيقال له : ما كنت تقول فى هذا الرجل ؟ فيقول لا أدرى ، كنت أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دريت ولا تليت ويضرب بمطارق من حديد ضربة بين

أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين» (رواه البخارى) .

ومعنى (لا دريت ولا تليت) كما روى الإمام أحمد - أى لم تدر ولم تتلُ القرآن - فلم تنتفع بدرايتك ولا تلاوتك) (وإسناده صحيح انظر التذكرة للقرطبى) .

أما عن أنواع العذاب فى القبر وأسبابه فانظر رسالتى (عذاب القبر ونعيمه) فهذا يغنينا عن تكراره هنا لضيق المساحة من جهة ، وما زال هناك محطات أخرى تحتاج للاستفاضة والبيان لخطورتها وأهوالها من جهة أخرى والله المستعان .



المحطة الثالثة :

البعث والنفخ في الصور

هذه المحطة أهوالها عظيمة وسوف ترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد .. ومن شدتها وأهوالها لا يسأل حليمًا حليما .. سوف تنشق السماء وتنفطر وتنفجر البحار وتنسف الجبال ويشيب الولدان وتزلزل الأرض زلزالها ويصدر الناس أشتاتًا ليروا أعمالهم . وقد جاءت عشرات الآيات البينات توضح هذه الأهوال من ذلك .

قوله تعالى : ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ * وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ * وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ * وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ * وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ * وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ * وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ * وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ * وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ * وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ * وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ * عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴾ [التكوير: ١ - ١٤] .

وقوله تعالى : ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ * وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ * وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ * وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ * عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ

وَأَخَّرَتْ ﴾ [الانفطار : ١ - ٥] .

أخى القارئ .. اعلم أن هناك نفختان فى الصور ، نفخة الصعق وفيها يموت كل من فى الأرض ومن فى السماء إلا من استثناهم الله تعالى .

قال تعالى : ﴿ ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ﴾ وهذه هى النفخة الأولى .

والمستثنى فى الآية قيل هم الملائكة وقيل الشهداء وقيل الأنبياء وقيل غير ذلك

والصحيح أنه لم يرد فى تعيينهم خبر صحيح والسكوت عنه أفضل والله أعلم بهم .

أما النفخة الثانية فهى نفخة البعث ، وفيها يخرج الخلق من قبورهم عرايا كما ولدتهم أمهاتهم وهم من شدة الأهوال التى صورها القرآن فيما ذكرناه من آيات ، يساقون إلى أرض المحشر ويقولون قول الحق تعالى : ﴿ يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ﴾ [يس : ٥٢] ؟ فتقول لهم الملائكة ، أو يقول لهم المؤمنون . . على اختلاف بين

المفسرين : ﴿ هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴾ ثم يساق الجميع إلى أرض المحشر .

المحطة الرابعة :

أرض المحشر

أرض المحشر أرض غير الأرض التى نعيش عليها وسمائها غير السماء التى تظلنا .

قال تعالى : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ﴾ [إبراهيم : ٤٨] .

وهى أرض لم يرتكب عليها ذنب أو خطيئة ولم يسفك عليها دم وقد وصفها النبى ﷺ فيما جاء عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ : « يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقى ليس فيه معلم لأحد » (رواه مسلم) .

والعفرة : بياض ليس بالناصع ، والنقى هو النقى عن القشر والنخالة ، ومعلم : أى لا بناء يستر ولا تفاوت يرد البصر .

والناس في الحشر ليسوا على حالة واحدة بل منهم من يركب ، ومنهم من يمشي على رجليه ، ومنهم من يمشي على وجهه!! ، قال النبي ﷺ : « إنكم محشورون رجالاً وركبانًا وتجرون على وجوهكم » (رواه الترمذي وإسناده حسن) ، نعم يمشي البعض على وجوههم كما قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ﴾ [الفرقان : ٣٤] .

وسأل أنس النبي ﷺ عن هذه الآية فقال : أيحشر الكافر على وجهه ؟ فقال

ﷺ : « أليس الذى مشـاه على الرجلين فى الدنيا قادر على أن يمشيه على وجهه » (رواه البخارى ومسلم) .

وفى حـديث آخـر للبـخـارى عن أبى هريرة يزيد الأمر والصورة توضيحًا وتقريبًا قـال : قـال رسول الله ﷺ : « يحـشـر الناس يوم الـقـيـامـة علـى ثلاث طرائق راغبين وراهبين واثنان على بعـير ، وثلاثة على بعيـر ، وأربعة على بعير ، وعـشرة على بعـير ، ويحـشر بقيـتهم النار تـقيل معهم حـيث قالوا ، وتبيت معـهم حيث باتوا وتصبح معهم حـيث أصبحوا وتمسى

معهم حيث أمسوا » (رواه البخارى) .

وكما ذكرت سلفًا الناس فى أرض المحشر عرايا حتى أن الأمر أثار خوف أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها فقالت : الرجال والنساء جميعًا ينظر بعضهم إلى بعض .. فقال ﷺ : « الأمر أشد من أن يهمهم ذلك » .. وفى رواية « من أن ينظر بعضهم إلى بعض » (رواه البخارى ومسلم) ، وفى أرض المحشر بينما الناس ينتظرون تحت ظل الشمس الحارقة الحساب يغرق الجميع فى عرقه من شدة العرق والانتظار فاليوم فى الآخرة بخمسين ألف

سنة وفى الصحيح عن سليم بن عامر عن المقداد قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون كمقدار ميل . قال سليم بن عامر : والله ما أدرى ما يعنى بالميل ، مسافة الأرض ، أو الميل التى تكحل به العين . قال : « فتكون الناس على قدر أعمالهم فى العرق فمنهم من يكون إلى كعبيه ، ومنهم من يكون إلى ركبتيه ، ومنهم من يكون إلى حقويه ، ومنهم من يلجمه العرق إلجامًا . . وأشار الرسول ﷺ بيده إلى فيه » (رواه مسلم) . وهذا وقد

استثنى النبى ﷺ سبعة يظلهم الله فى ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله فيما رواه مسلم والبخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال ﷺ: «سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله الإمام العادل وشاب نشأ فى طاعة ربه ورجل قلبه معلق فى المساجد ورجلان تحابا فى الله اجتمعا وتفرقا عليه ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إنى أخاف الله ورجل تصدق أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه» (رواه مسلم والبخارى واللفظ له).

المحطة الخامسة :

تطاير الصحف

عندما يبدأ الحساب وبعد الشفاعة لنبينا ﷺ تتطاير الصحف وتتعلق كل صحيفة بصاحبها. قال تعالى : ﴿ وَكُلَّ إنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا * اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ [الإسراء : ١٣ ، ١٤] .

فإذا وقف الناس على أعمالهم من الصحف حوسبوا بها والقرآن يوضح حال الجميع فى تصوير بديع معجز .. فمن

يأخذ كتابه بيمينه يقول قول الحق تعالى :
﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ * إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ ﴾
[الحاقة : ١٩ ، ٢٠] .

وأمـا من يأخـذه بشـمـاله أو من وراء ظهره فيقول قول الحق تعالى : ﴿ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴾[الحاقة : ٢٥ - ٢٧] .

ومـا أجمل قـول الشاعـر لوصف هذا الموقف الرهيب الذى لا يعلم حـقيقـته إلا الله تعالى :

مثل وقوفك يوم العرض عريانًا

مستوحشًا قلق الأحشاء حيرانًا

والنار تلهب من غيظ ومن حنق

على العصاة ورب العرش غضبانًا

اقرأ كتابك يا عبدى على مهل

فهل ترى فيه حرفًا غير ما كانا

لما قرأت ولم تنكر قراءته

أقررت إقرار من عرف الأشياء عرفانا

نادى الجليل : خذوه يا ملائكتى

وامضوا بعبد عصى للنار عطشانا

المشركون غداً فى النار يلتهبوا

والمؤمنون بدار الخلد سكانًا

المحطة السادسة :

الحساب

يقف العبد الذليل أمام الرب الجليل يسأله عما قدمت يداه من خير أو شر ويجد عمله محفوظ فيه كل كبيرة وصغيرة فلا يخفى على الله خافية .

قال تعالى : ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا ﴾ [الكهف : ٤٩] .

وقال تعالى : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ [الزلزلة : ٧ ، ٨] .

وكفى بحسابك **أخى القارئ** أمام الله تعالى عذابًا وترهيبًا ولهذا يحذرك نبيك ﷺ فقال: « ليقفن أحدكم بين يدى الله عز وجل ليس بينه وبينه حجاب فيقول له، ألم أنعم عليك ؟ ألم أوتك مالاً ؟ فيقول: بلى . . فيقول : ألم أرسل إليك رسولاً . . فيقول : بلى ثم ينظر عن يمينه فلا يرى إلا النار ، ثم ينظر عن شماله

فلا يرى إلا النار ، فليتق أحدكم النار ولو بشق تمرة فإن لم يجد فبكلمة طيبة » (رواه البخارى عن عدى بن حاتم) .

أخى القارئ . . حذار حذار ، واعلم أن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك أنت عنهم مسئول ، وفى حديث لمسلم قال ﷺ : « لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع عن عمره فيم أفناه ؟ وعن جسده فيما أبلاه ؟ وعن عمله ما عمل فيه ؟ وعن ماله من أين اكتسبه ؟ وفيما أنفقه ؟ » . . واعلم أن أول ما

يقضى بين النـاس يوم القيامـة فى الدماء، وأول ما يحسـاب عليه العبد الـصلاة فاتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن .

المحطة السابعة :

الميزان

وهذه المحطة فى هذه الرحلة العسـيـرة والشـاقة من أخطر المحطات حـيث توزن أعمال العباد من خـير أو شر ، ولا ينجو إلا من حاسب نفسه فى الدنيا على أعماله وأقواله كـما قال عـمر بن الخطاب رضى

الله عنه (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا) .. وأنصحك بقراءة كتابى (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا) من سلسلة الدين النصيحة طبع المكتبة المحمودية للأهمية الشديدة لهذا الموضوع .

قال تعالى : ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ ، [الأنبياء : ٤٧] .

وقال تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ *

فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴾ [القارعة : ٦ - ٩] .

هذا واعلم أن الناس عند الميزان قد ترجح سيئاتهم على حسناتهم بسبب الذنوب التى ارتكبوها فى الدنيا وهذا ما جعل النبى ﷺ يسأل أصحابه : « أتدرون من المفلس ؟ . . قالوا : المفلس فينا يا رسول الله من لا درهم له ولا دينار ولا متاع ، قال : « المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتى وقد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا

وسفك دم هـذا ، وضرب هذا ، فيـعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإن فنيت حـسناته . . . . » (رواه البـخـارى ومسلم) .

فحـاسب نفسك وقلل من خصـمائك واحترز من ظلمك إيـاهم فإن زيادة حسنة فى ميـزانك قد تكـون سببًا فى دخـولك الجنة كمـا أن سيـئة ترجح ميـزانك تكون سـببًا فى دخـولك النار فـتذكـر ذلك ولا تفرط فى حسناتك فهى أغلى ما تملك فى هذه الدنيا الفانية .

المحطة الثامنة :

الصراط

الصراط جسر ممدود على متن النار ولا يعلم حـدوده إلا الله وعليه كلالـيب مثل شوك السعـدان تخطف الناس وتقذف بهم فى النار والعـياذ بالله فمنهم الموبـق بعمله ومنهم المجـازى حتـى ينجو . . ومـا من إنســان إلا ويمر على الصـراط كـما قـال تعالى : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾ [مريم ٧١] .

ويمر العـباد علـى الصراط وعلى قـدر

عمل العبد واجتهاده فى الدنيا تكون سرعته فى المرور ونوره الذى يضئ له ظلمة الجسر .

- روى مسلم عن حذيفة أن رسول الله ﷺ قال : « ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون اللهم سلم سلم » قيل : يا رسول الله وما الجسر ؟ قال : « دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسكة تكون بنجد فيها شوكة يقال لها السعدان : فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد

الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكردس فى نار جهنم » (جزء من حديث رواه مسلم) .

المحطة التاسعة :

الحوض

روى مسلم عن أنس قال : بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه متبسمًا فقلنا ما أضحكك يا رسول الله ؟ قال : نزلت علىَّ آنفًا سورة فقرأ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم * إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ

وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ ﴾ [الكوثر:١-٣] ، ثم قال : أتدرون ما الكوثر ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم قال: فإنه نهر وعدنيه ربى ، عليه خير كثير، وهو حوض ترد عليه أمتى يوم القيامة آنيته عدد النجوم ، فيختلج العبد فأقول : يا رب : إنه من أمتى ، فيقال : ما تدرى ما أحدث بعدك» (رواه مسلم) .

اعلم أن هناك نهران نهر فى الجنة ونهر قبلها وهو ما نتحدث عنه فمن شرب منه فقد ضمن دخولها ولم يظمأ بعدها أبدًا ،

ومن منع فمصيره إلى النار والعياذ بالله لما ارتكبه من معاصى وبدع كما جاء فى الحديث آنفًا .

- وروى البخارى فى صفته : عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله ﷺ « حوضى مسيرة شهر ، وزواياه سواء ، وماؤه أبيض من الورق وريحه أطيب من المسك، كبزانه كنجوم السماء، من ورد فشرب منه لم يظمأ بعده أبدًا).



المحطة العاشرة :

إما جنة وإما نار

والمحطة العاشرة فيها يتفرع الطريق إلى اثنين إما جنة وإما نار .

النـار : هى نهاية الرحلة لأهل الشـقاء ممن ضل سعيهم فى الحياة الدنيا . . والنار مثوى المتكبـرين والكافرين إلخ . . الذين يذوقون فيها من أنواع العذاب فى دركاتها السبع ، ولقـد جاءت فى القرآن عـشرات من الآيات عن هذا العذاب من ذلك :

قـال تعـالى : ﴿ **ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ**

الْمُكَذِّبُونَ * لآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ * فَمَالِئُونَ مِنهَا الْبُطُونَ * فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ * فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ﴾ [الواقعة: ٥١-٥٥].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالاً وَجَحِيمًا * وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [المزمل : ١٢ ، ١٣] .

وقال تعالى: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [محمد : ١٥] .

وقال تعالى: ﴿ إذ الأغلال فى أعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴾ [النساء : ٥٦] .

وغير ذلك من أنواع العذاب والأحاديث الصحيحة تبين صورًا أخرى من صور العذاب من ذلك :

- عن النعمان بن بشير قال .. قال ﷺ : « إن أدنى أهل النار عذابًا يوم القيامة من ينتعل بنعلين من نار يغلى دماغه من حرارة نعليه » (رواه البخارى ومسلم) .

- وعن أبى هريرة قال : قال النبى

ﷺ : « ضرس الكافر فى النار مثل أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاث» (رواه مسلم) .

أخى القارى .. حذار .. حذار وعد إلى الله قبل فوات الأوان ولا تبع دينك بدنياك فلا صبر لك على النار بما فيها من عذاب وحيات وعقارب وشراب كالحميم ولا الضرب بالمقامع ولا ثقل السلاسل ..

فانج بنفسك قبل بداية رحلتك التى لا تعود منها إلى الدنيا أبدًا وإنما إلى نار أو إلى جنة والعاقبة للمتقين .

الجنـة : وهى نهاية الرحلة أيضًا لأهل السعادة الذين خافوا الله وأطاعوه وتنافسوا فى مـرضاته . . وفى الجنة نعـيم لا يزول كما أن فى النار عذاب لا يزول ، وفيها ما لا عين رأت ولا أذن سـمـعت ولا خطر على قلب بشر تقول لـهم ملائكة الرحمن **﴿سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾** [الزمر: ٧٣].

ولأن الجنة الحديث عنها يضيق فى هذه العجـالة وقد وصلت الرسالة إلى نهايتـها فالتمس عذرى **أخى القـارئ** فقد جعلت

الحـديث عن الجنة أو المحطة الأخيـرة فى رسالة جيب مستقلة بعنوان (نعيم الجنة) اطلبهـا من المكتبـة المحموديـة وجزاك الله عنى خيراً .

والحـمـد لله رب العـالمـين والصـلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين .

وكتبه الفقير إلى عفو ربه

سيد مبارك (أبو بلال)

١٩ صفر ١٤٢٢ هـ - ١٣ مايو ٢٠٠١م

***

الفهرس

***